الراكعون الساجدون : يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها[١] .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر : الأمر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله ﷺ . والنهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله[٢] ﷺ .

والحافظون لحدود الله : المؤدون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه الذين لا يضيعون شيئاً ألزمهم العمل به ولا يركبون شيئاً نهاهم عن ارتكابه[٣] .

تبين الآية الكريمة بعض نعوت المؤمنين الذين اشترى الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . وأول ما يلاحظ هو ما يسمى في البلاغة العربية بالفصل والوصل . إن الصفات السبع الأُوَل تأتي في أسلوب الفصل ثم يأتي أسلوب الوصل بالواو بشأن الصفة الثامنة بحيث إنه يصح أن يقال عن هذه الواو بأنها واو الثمانية . ولا ننسى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهان لدينار واحد وهما يشكّلان معاً الصفة السابعة وعليه قالوا في القول : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » لربط الصفتين معاً لأنهما متلازمتان بطبعهما ، والدليل على أننا لا زلنا بصدد ما يسمى بالبلاغة بالفصل هو عدم مجيء الواو في القول : « الآمرون بالمعروف » .

ومن فوائد الفصل هنا التنبيه إلى أن هذه الصفات وإن ذُكِرت في الآية الكريمة وفق نسق بعينه فإن المؤمنين من الجائز أن تتفاوت حظوظهم في الأخذ بها كلها أو في الأخذ ببعضها .

وراء ذلك يصح أن يكون من جانبنا محاولة لتبيين الحكمة من ترتيب النعوت وَفْق هذا النسق . إن الآية الكريمة تصف المؤمنين ابتداء بأنهم « التائبون » وذلك معناه أن المجاهدين في سبيل الله تعالى بأنفسهم وأموالهم والذين سيدخلون الجنة بفضل الله تعالى يصح أن تصدر منهم بعض الهفوات ، فإنهم بشر وليسوا ملائكة وليسوا معصومين . وإن من أهم ما يميّز هؤلاء المؤمنين أنهم يعلمون بأن لهم رباً غفوراً يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، لذا هم يبادرون إلى التوبة إلى الله تعالى توبةً نصوحاً . وبعد توبة هؤلاء المؤمنين إلى الله تعالى الذي يقبل التوبة عن عباده ويبدل السيئات حسنات تأتي عمليات البناء الصحيح في النعوت التالية . إن المؤمنين بعد التوبة هم : « العابدون » الذين يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له ويخلصون العبادة لله تعالى ، وبذلك هم في مجال الإيجابيات يبدأون بتحقيق الهدف الذي

---

(١) تفسير الطبري ١١/٢٩ .

(٢) تفسير الطبري ١١/٢٩ .

(٣) تفسير الطبري ١١/٢٩ .

خلق الله سبحانه وتعالى الجن والإنس من أجله وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وقد قال عز من قائل[1] : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

أما وقد وفّق الله سبحانه وتعالى المؤمنين لتحقيق الهدف الذي خلقوا من أجله وهو إفراد الله تعالى بالعبادة فإنهم وراء ذلك هم : « الحامدون » لله تعالى دائماً وأبداً . إنهم يحمدون الله تعالى الذي هداهم إلى التوبة ، والذي غفر ذنوبهم وستر عيوبهم ، والذي وفّقهم لعبادته حق العبادة ، والذي أسبغ عليهم نعمة ظاهرة وباطنة ، والذي هو أهل للحمد كله وللثناء عليه جل وعلا بما هو أهله على نحو ما بينت الآية الكريمة الأولى من سورة الفاتحة : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

ومن المعروف وراء ذلك أن إقام الصلاة أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين فهي العبادة التي يتجه بها العبد إلى ربه جل وعلا بطريق مباشر بالمقارنة إلى الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام وهي العبادة التي يتجه بها العبد إلى ربه جل وعلا مروراً بأخيه الإنسان . والمعروف أن القرآن الكريم يجمع بين الصلاة والزكاة فيما يزيد على الثمانين موضعاً دليلاً على أهمية الزكاة التي يتجلى شيء من أهميتها من هذا الاقتران بالصلاة المتضمنة للسجود الذي جاء في الحديث النبوي الشريف تعبيراً عن جلال قدره ما يفيد بأن العبد أقرب ما يكون من ربه جل وعلا وهو ساجد . ومن المعروف وراء ذلك أن صوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام . في ضوء ما سبق نحن نسأل : وهل نصّت الآية الكريمة على إيتاء الزكاة ؟ إنها لم تنص على إيتاء الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام . ولكنها نصت على إقام الصلاة وذلك في القول : « الراكعون الساجدون » ويلاحظ أن الآية الكريمة لا يجيء فيها القول : المصلون ، إنما جاء فيها : « الراجعون الساجدون » تنبيهاً على صفتين بارزتين للمصلي هما الركوع والسجود ، وقد عرفنا قيمة السجود في الصلاة من الحديث النبوي الشريف .

ولماذا جاء في الآية الكريمة القول : « الراكعون الساجدون » وليس « المصلون » ؟ إن القرآن الكريم معجز بمعناه وبمبناه . إنه يقنع كل عقل بفصوص حكمه ، ويشبع كل نفس ويشنّف كل أذن بظاهرة تلاؤم أصواته . وإن ظاهرة تلاؤم الأصوات نتبيّنها في القول : « الراكعون الساجدون » لأنها من هذه الوجهة الصوتية على غرار ما سبقها ولحق بها من صيغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي . ومعروف أن اللغة العربية تمتاز بقوالبها الصوتية أو الموسيقية

---

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

التي تصاغ فيها الألفاظ المتشابهة في عدد حروف الأصل لأداء معنًى معيّن كاسم الفاعل واسم المفعول وما إليهما .

وهكذا يتبين أن الآية الكريمة تحدثت عن الصلاة عماد الدين ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وقد عرفنا دور الحديث عن هذا الركن في القول : « الراكعون الساجدون » من الوجهتين المعنوية والصوتية ، كما يتبين أننا لم نتحدث عن الصفة السابقة على إقام الصلاة في الآية الكريمة وهي القول عن المؤمنين بأنهم : « السائحون » .

لقد عرفنا اختلاف العلماء بشأن هذا النعت ، فمنهم من ذهب إلى أن وصف المؤمنين بأنهم : « السائحون » معناه أنهم الصائمون ومنهم من ذهب إلى أن المقصود وصف المؤمنين بأنهم السائحون في أرض الله تعالى متأملين متدبرين معتبرين متّعظين . وإنّ أول ما نرغب في التنبيه عليه هو ما يعرف في اللغة بالاشتراك اللفظي بمعنى أن يفيد اللفظ الواحد أكثر من معنى كلفظة العين التي تفيد عين الإنسان وعين الماء وعين الشمس والجاسوس وما إلى ذلك . إنّ الشيء ذاته يصح أن يقال هنا . فإذا كان لفظ : « سائحات » في الآية الكريمة الخامسة من سورة التحريم معناه : « صائمات » قال تعالى : ﴿ عسى ربّه إن طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً ﴾ فإن ما جاء في صفات المؤمنين هنا بأنهم « السائحون » يصح أن يراد وصفهم بأنهم الصائمون كما يصح أن يراد وصفهم بأنهم السائحون في الأرض المتأملون المعتبرون . ويصح أن يكون هذا المعنى الآخر هو المقصود هنا للأسباب الآتية :

١ ـــ جاء في الآية الكريمة القول : « السائحون » وهو من الوجهة الصوتية على وزن : « الصائمون » .

٢ ـــ حينما يتحدث القرآن الكريم عن الركن الرابع من أركان الإسلام وهو صوم شهر رمضان يتحدث عنه وعن الصوم مطلقاً مستعملاً الألفاظ التي لها علاقة بالأصل اللغوي : « صوم » كالصوم والصيام والصائمين والصائمات . جاء في سورة الأحزاب(١) قوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ .

---

(١) الآية ٣٥ .

فهل من حقنا أن نذهب إلى أن وصف الآية الكريمة المؤمنين بأنهم : « السائحون » يفيد معنى السياحة في الأرض للتأمل والسير فيها للاعتبار اعتماداً على دليل العدول في الآية الكريمة عن لفظة « الصائمون » إلى لفظة : « السائحون » رغم الاتفاق صوتياً بين اللفظتين واعتماداً على استعمال القرآن مشتقات الأصل اللغوي : « صوم » في الحديث عن الصوم ؟ ربما كان من حقنا ذلك . والله سبحانه وتعالى أعلم بالمراد .

وربما أضفنا دليلاً ثالثاً وهو أن في الذهاب إلى أن السائحين بمعنى الصائمين تقديماً للركن الرابع من أركان الإسلام في الذكر على الركن الثاني وهو إقام الصلاة . وإن في الذهاب إلى أن السياحة على بابها وأنها بمعنى السير في الأرض بقصد الاعتبار تنبيهاً إلى انتهاء الصفات الأربع الأقرب للعموم من توبة وعبادة وحمد وسياحة ، وإلى استمرار الحديث بعد ذلك عن الصفات الأربع الأخر الأقرب إلى الخصوص وهي الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله تعالى .

ومن البين أن نظرتنا هنا راعت الفصل في القول : « الراكعون الساجدون » تعبيراً عن الصلاة . وأنها راعت الوصل هنا بالواو : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » فاعتبرت الأمر بالمعروف صفة واعتبرت النهي عن المنكر صفة أخرى رغم أنهما وجهان لدينار واحد-كما قلنا . ويأتي أخيراً الحفظ لحدود الله تعالى .

ويصح اعتبار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة واحدة على غرار اعتبار الركوع والسجود تعبيراً عن صفة واحدة هي إقام الصلاة .

والذي يلفت النظر بشأن هذه الصفات التي قلنا إنها أقرب إلى الخصوص الرِّباطان المعنوي والصوتي بينهما .

إن الصفات الأربع السابقة جاء كل منها في لفظة واحدة بينما جاء التعبير عن الصفات الأخر بعد ذلك في أكثر من لفظة وفي معان يغلب عليها الثنائية . فهناك ركوع وسجود . وهناك أمر بمعروف ونهي عن منكر . وهناك حفظ لحدود الله تعالى . إن الركوع غير السجود . وإن الأمر غير النهي . وإن المعروف غير المنكر . أما الحفظ فإنه للحدود التي حدها الله سبحانه وتعالى .

فإذا تركنا الجانب الصوتي إلى المعنوي تبينا دور الصلاة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد قال تعالى(١) : ﴿ اُتْلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة . إن الصلاة

---

(١) سورة العنكبوت ٤٥ .

تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذكر الله أكبر . والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

وحينما يكون ثمة إقامة للصلاة وأمر للآخرين بالمعروف ونهي لهم عن المنكر يكون كل ذلك مظنة أن يحفظ أولئك المؤمنون المجاهدون في سبيل الله تعالى حدود الله تعالى . إنهم يمتثلون نهي الله تعالى لهم عن تجاوز حدود الله تعالى وعن الاقتراب منها .

وإن الآية الكريمة في التذييل : « وبشر المؤمنين » تنبه إلى أن المؤمنين الذين تلك صفاتهم والذين دفعوا أرواحهم وأموالهم ثمناً للجنة هم الفائزون المفلحون الناجحون في الامتحان العظيم يوم القيامة الخليقون بالبشارة بذلك الفوز العظيم . وإن في ذكر المؤمنين تنبيهاً إلى أن الإيمان أول شروط الفوز . إن على المجاهدين في سبيل الله تعالى أن يؤمنوا بالله تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالقرآن الكريم شرعةً ومنهاجاً .

# (( ما ينبغي للنّبيّ والمؤمنين
# أن يستغفروا للمشركين
# أعداء الله تعالى العليم القدير ))
# الآيات ( ١١٣ ــ ١١٦ )

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾

**سبب النزول :**

روى البخاري ومسلم وأحمد(١) ، واللفظ لأحمد(٢) عن الزهري عن ابن المسيّب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة فقال : أَيْ عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملّة عبد المطلب . فقال النبي ﷺ : لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك . فنزلت : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُرْبى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . قال : ونزلت فيه(٣) : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾(٤) .

تقرّر الآية الكريمة أنه ما كان ينبغي(٥) للنبيّ ﷺ وللذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وذوي قرابة(٦) من بعد ما تبيّن ووضح لهم أنهم أصحاب الجحيم وأهل النار وبئس القرار وذلك بسبب ارتكابهم الذنب الذي لا يغفره الله تعالى وهو الإشراك معه جلّ وعلا سواه وموتهم على الشرك وقد قال تعالى(٧) : ﴿ إن الله لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يُشْرِكْ بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ وقال تعالى(٨) : ﴿ إن الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يُشْرِكْ بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ .

---

(١) صحيح البخاري ٦/٨٧ وتفسير ابن كثير ٢/٣٩٣ وانظر أسباب النزول ٣٠١ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٩٣ .
(٣) الآية ٥٦ من سورة القصص .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٣٩٣ .
(٥) تفسير الطبري ١١/٣٠ و ٣٢ .
(٦) تفسير الطبري ١١/٣٠ .
(٧) سورة النساء ٤٨ .
(٨) سورة النساء ١١٦ .

وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

إنّ إبراهيم لأوّاه : كثير التضرع والدعاء(١) .

حليم : صبور على الأذى(٢) .

جاء في أسباب النزول(٣) أن النبي ﷺ استأذن ربه جل وعلا في زيارة قبر والدته آمنة بنت وهب ، وأنه جل وعلا أذن له فيه ، وأنه استأذنه في الاستغفار لها فلم يأذن له فيه ، ونزل قوله تعالى : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه . وأنه عليه الصلاة والسلام أخذه ما يأخذ الولد للوالدة من الرّقّة ، وأنه عليه الصلاة بكى لذلك .

تقرر الآية الكريمة أن استغفار إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء لأبيه آزر المشرك لم يكن إلا عن موعدة وعدها إبراهيم عليه السلام والده المشرك وذلك بأن يستغفر له ربه جل وعلا . فلما تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه آزر عدو لله تعالى بإصراره علي عبادة الأوثان وموته على الشرك تبرّأ منه . وتقرر الآية الكريمة أن إبراهيم أوّاه كثير التضرع إلى الله تعالى حليم على من أساء إليه صبور على الأذى . ومن الآيات الكريمات التي تصور حلم إبراهيم الأوّاه المنيب ، والتي تتضمّن الوعد بالاستغفار ، الآيات الكريمات من سورة مريم . قال تعالى(٤) : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقاً نبياً . إذ قال لأبيه يا أبتِ لِم تَعْبُدُ ما لا يسمع ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عنك شيئاً . يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني أَهْدِك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبتِ إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّاً . قال أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني مليّاً . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّاً . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربّي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّاً . فلمّا اعتزلهم

---

(١) الجلالين وتفسير الطبري ١١/٣٧ .

(٢) الجلالـين .

(٣) أسباب النزول ٣٠٣ .

(٤) سورة مريم ٤١ ــ ٥٠ .

وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيًا . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليًا ﴾ وقد أشارت سورة الممتحنة إلى أن للمؤمنين أسوة حسنة في إبراهيم عليه السلام وفي قومه الذين تبرأوا من المشركين ، كما أشارت إلى أن المؤمنين ليس لهم التأسي بإبراهيم عليه السلام في الاستغفار للكفار . قال تعالى[1] : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تؤمنوا بالله وَحْدَه إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ .

وقيل في معنى قوله تعالى : « إلا عن مَوْعِدةٍ وعدها إياه » عن موعدةٍ مِنْ أبيه له في أنه سيؤمن ، فكان إبراهيم قد قوي طمعه في إيمانه فحمله على الاستغفار له حتى نُهي عنه[2] .

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

من المعروف أن الهداية أربعة أنواع[3] .

فهناك الهداية بمعنى تزويد الإنسان بالطاقات للبحث عن الهدى والتفتيش عنه ، وبالملكات لحسن الاستقبال والتلقي في حقّ الذين يحسنون صنعاً .

وهناك الهداية بمعنى الإرشاد والدلالة وهذه وظيفة المرسلين والنبيين ابتداءً ، الدعاة والمصلحين بعد ذلك .

وهناك الهداية بمعنى التوفيق من رب العباد للعبد كي يكون من المهتدين إلى الصراط المستقيم .

وهناك الهداية في الآخرة إلى الجنة التي عرّفها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين .

ومن البين أنه لا مكان هنا للنوع الرابع من الهداية المتعلق باليوم الآخر لأن الآية الكريمة تتحدث عن الحياة الأولى . أما الهداية المتعلقة بالنوع الأول وهي التي عمّ جل وعلا بجنسها كل مكلَّف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية[4] فإن هذا النوع من الهداية يستوي المكلفون في الأخذ بأنصبة متفاوتة منه . وبناء على ذلك هو خارج عن مراد الآية

---

(١) سورة الممتحنة ٤ .
(٢) تفسير ابن عطية ٦٢/٧ .
(٣) انظر مفردات الراغب الأصفهاني : « هدى » ٥٣٨ .
(٤) مفردات الراغب الأصفهاني : « هدى » ٥٣٨ .

الكريمة التي تتحدث عن هداية ذهبت سدى ، والمعروف أن الهداية بالمعنى الأول ثابتة وغير متحولة عن كل عاقل مكلّف . فبقي إذن النوعان الثاني والثالث من أنواع الهداية . بمعنى الدلالة وبمعنى التوفيق .

ومن البين أننا في الآية الكريمة أمام ضلال للقوم بعد أن هداهم الله تعالى بمعنى أنه جل وعلا وفّق لهم من يدلّهم على طريق الهدى وبيّن لهم ما يتّقون فأصرّوا على الضلالة . وبهذا تشمل الآية الكريمة هدى الدلالة والإرشاد . ويصح أن نكون كذلك أمام ضلال للقوم بعد أن وفّقهم الله تعالى للاهتداء إلى الصراط المستقيم وبيّن لهم ما يتّقون فآثروا العاجلة على الآجلة واشتروا الضلالة بالهدى والعياذ بالله . ومع وجود الأفراد الذين قد يضلّون بعد الاهتداء والتوفيق فإن الغالب على الضلال أن يكون بعد هدى الدّلالة والإرشاد .

وتقرر الآية الكريمة في التذييل أن الله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم ومن ذلك الضال والمهتدي ، ومن ذلك من يستحق أن يضله الله تعالى ومن يستحق أن يهديه : ﴿ لا يُسْأل عمّا يفعل وهم يُسْألون ﴾[1] ونستطيع أن نفهم أن الآية الكريمة تأخذ بسبب من هذه الآية الكريمة من سورة الإسراء[2] : ﴿ وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦)

قررت الآية الكريمة السابقة أن الله سبحانه وتعالى عليم ، هكذا في صيغة المبالغة ، بكل شيء جلّ أو هان ، كبر أو صغر ، في السماوات أو في الأرض . وهذه الآية الكريمة التالية كأنّها تبيّن ابتداءً السبب في هذا العلم المحيط ، وهو أنه جل وعلا له وحده لا شريك له ملك السماوات والأرض وما بينهما . وإن الله تعالى الذي بيده ملكوت السماوات والأرض يحيى من يشاء إحياءه ، ويميت من يريد إماته ، بيده الخير ، وهو جل وعلا على كل شيء قدير . ولما كان العلم والملك يعنيان قدرة الفعال لما يريد الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون فقد عبرت الآية الكريمة عن هذا المعنى في القول : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » إن الناس جميعاً ليس لهم من دون الله تعالى ولي يتولى أمورهم ويرعى مصالحهم ، وليس لهم من دون الله تعالى نصير يصرف عنهم السوء أو يحوّله عنهم .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٣ .
(٢) الآية ١٥ .

# (( توبة الله تعالى على النّبيّ والمهاجرين والأنصار وعلى الثّلاثة الّذين أُخِّرت توبتهم ))

## الآيات ( ١١٧ ــ ١١٩ )

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

لقد تاب الله : أي أدام توبته(١) والتوبة من الله رجوعه بعبده من حالة إلى أرفع منها ، فقد تكون في الأكثر رجوعاً من حالة المعصية إلى حالة الطاعة ، وقد تكون رجوعاً من حالة طاعة إلى أكمل منها ، وهذه توبته في هذه الآية على النبي ﷺ لأنه رجع به من حاله قبل تحصيل الغزوة وأجرها وتحمّل مشقاتها إلى حاله بعد ذلك كله(٢) يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمداً ﷺ والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام وأنصار رسوله في الله(٣) .

في ساعة العسرة : في وقت العسرة(٤) والعُسْر نقيض اليُسْر ، والعسر تعسّر وجود المال(٥) والمراد في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء(٦) .

من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه(٧) .

ثم تاب عليهم : ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم(٨) .

**سبب النزول :**

قال مجاهد وغير واحد : نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها في شدّة من الأمر في سنة مجدبة وحرٍّ شديد وعسر من الزّاد والماء . قال قتادة : خرجوا إلى الشام عام تبوك في لَهَبان(٩) الحر على ما يعلم الله من الجهد ما أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير ابن عطية ٦٧/٧ .
(٣) تفسير الطبري ٣٩/١١ .
(٤) تفسير ابن عطية ٦٧/٧ والجلالين .
(٥) مفردات الراغب الأصفهاني : « عسر » ٣٣٤ .
(٦) تفسير الطبري ٣٩/١١ وتفسير ابن كثير ٣٩٦/٢ .
(٧) تفسير الطبري ٣٩/١١ .
(٨) تفسير الطبري ٣٩/١١ .
(٩) اللّهبان مصدر : شدّة الحر .

لنا أن الرجلين كانا يشقّان التّمرة بينهما ، وكان النّفر يتداولون التّمرة بينهم يمصّها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم(١) وبسبب القيظ وشدة الحرّ كان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه(٢) فيشربه ويجعل ما بقي على كبده(٣) .

تقرر الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى تاب على النبي ﷺ والمهاجرين إلى المدينة المنورة والأنصار من أهل المدينة المنورة وأدام توبته جل وعلا على النبي ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام في ساعة العسرة ووقت الشدة في أثناء غزوة تبوك في شدة الصيف ووقت القيظ . وتقرر الآية الكريمة كذلك أن رب العزة جل وعلا قد رفع المصطفى ﷺ والمهاجرين والأنصار من منزلة رفيعة إلى منزلة أرفع . إن المهاجرين والأنصار الذين نوّر الله تعالى قلوبهم قد اتّبعوه عليه الصلاة والسلام في ساعة العسرة ووقت الشدة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم وتميل عن الحق . إن الله سبحانه وتعالى تاب على الذين كادت تزيغ قلوبهم بأن هداهم إلى التوبة وأكرمهم جل وعلا بقبول التوبة . إنه جل وعلا بهم رءوف رحيم .

وإذا كانت الآية الكريمة قد تحدثت عن توبة الله تعالى على النبي ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار فإن الآية الكريمة التّالية تتحدّث عن توبة الله تعالى على الثّلاثة الذين خُلِّفوا فإلى الآية التّالية .

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا : لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا(٤) وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك السَّلَمي ( بفتح السين واللام )

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٩٦/٢ وانظر تفسير الطبري ٣٩/١١ ، ٤٠ .

(٢) الفَرْث : ما في الكرش .

(٣) تفسير الطبري ٤٠/١١ .

(٤) تفسير الطبري ٤٠/١١ .

الخزرجي(١) ومُرارة بن الربيع العَمْري ، بفتح المهملة وسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس(٢) وهلال بن أميّة الواقفي ، بقاف ثم فاء نسبة إلى بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس(٣) ويلاحظ أنه جاء في الآية الكريمة النص على الثلاثة وأنه جاء في الآية الكريمة السابقة ذكر النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار . وجاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه على لسان كعب بن مالك رضي الله عنه(٤) : « قال كعب : وكنّا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله : وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أَمْرَنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه » وابن حجر في فتح الباري(٥) يفسر هذا الكلام بالقول : « وحاصله أن كعباً فسّر قوله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ، أي أُخِّروا حتى تاب الله عليهم ، لا أن المراد أنهم خلفوا عن الغزو . وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عمّن سمع عكرمة في قوله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ، قال : خُلِّفوا عن التوبة . ولابن جرير من طريق قتادة نحوه . قال ابن جرير : فمعنى الكلام ، لقد تاب الله على الذين أُخِّرت توبتهم »(٦) .

ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ : الرُّحب سعة المكان ، ومنه رَحَبة المسجد ، ورَحُبَت الدار اتسعت . واستُعير للواسع الجوب فقيل رَحْب البَطْن ، ولواسع الصدر . كما استعير الضّيق لضِدِّه . قال تعالى : وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَت(٧) أي ضاقت عليهم الأرض مع رُحبها أي سعتها(٨) .

وظنّوا : أيقنوا(٩) .

أَنْ : مخففة(١٠) من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف(١١) .

ثم تاب عليهم : وفّقهم للتوبة(١٢) .

---

(١) الأعلام ٥/٢٢٨ وانظر فتح الباري ٨/١١٨

(٢) فتح الباري ٨/١١٩ .

(٣) فتح الباري ٨/١٢٠ .

(٤) الحديث رقم ٤٤١٨ فتح الباري ٨/١١٦ .

(٥) ٨/١٢٣ .

(٦) انظر تفسير الطبري ١١/٤٥ .

(٧) مفردات الراغب الأصفهاني : « رحب » ١٩١ .

(٨) الجلالين وتفسير ابن كثير ٢/٣٩٩ .

(٩) الجلالين .

(١٠) الجلالين .

(١١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٦/٤٠ .

(١٢) الجلالين .

سبب النزول :

يتلخص سبب النزول كما ورد في الحديث الصحيح المتفق على صحته[(١)] فيما يلي : حينما همّ المصطفى ﷺ بالقيام بآخر غزواته ﷺ وهي غزوة تبوك لقتال نصارى العرب والروم بالشام[(٢)] سنة تسع من الهجرة[(٣)] صرّح المصطفى ﷺ بوجهته خلافاً لعادته عليه الصلاة والسلام الذي لم يكن يريد غزوة إلا ورّى بغيرها[(٤)] وقد صرح عليه الصلاة والسلام بغزوة تبوك لسببين اثنين أحدهما بعد الشقة ، وشدة الحر ، وضيق العيش كي يستعدّ المسلمون ويأخذوا للأمر عدته . وآخرهما اطمئنانه عليه الصلاة والسلام إلى أن خبر الغزوة لن يصل إلى الأعداء . وتجهّز النبي ﷺ والمؤمنون للغزو وتخلّف ذوو الأعذار والمنافقون ، كما تخلّف بعض المؤمنين تهاوناً . وكان خروج النبي ﷺ إلى تبوك في شهر رجب[(٥)] فدلّ على جواز الغزو في الشهر الحرام[(٦)] وكان قدوم النبي ﷺ المدينة قافلاً من تبوك في شهر رمضان[(٧)] ومن الذين تخلفوا عن تبوك كسلاً وتهاوناً الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم في هذه الآية الكريمة والذين ضعفوا أمام إغراءات التخلف عن تبوك من ظلال وارفة ، وثمار يانعة ، ومياه عذبة باردة ، وأمام مشقات الغزو من شقة بعيدة ، وجهد جهيد ، وسموم لافح ، وشح في الماء والطعام . وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية الأنصاريان الأوسيان . وكما تكاسل الثلاثة عن الخروج مع النبي ﷺ تكاسلوا عن اللّحاق به عليه الصلاة والسلام حتى عاد عليه الصلاة والسلام من تبوك ضُحى يوم من أيام شهر رمضان[(٨)] وكان خروجه عليه الصلاة والسلام يوم خميس في شهر رجب[(٩)] وكانت عادته عليه الصلاة والسلام أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين ويقعد للناس ثم يثني بفاطمة ثم يأتي أزواجه[(١٠)] وحينما اعتذر القاعدون عن الجهاد للنبي ﷺ قبل منهم أعذارهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى . أما هؤلاء الثلاثة فإنهم اعترفوا للنبي ﷺ بأنهم لم يكن لهم عذر في التخلّف عن الاشتراك في غزوة تبوك . وقد قال رسول الله ﷺ لكعب بن مالك : « أمّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك »[(١١)] وأمر النبي ﷺ الناس

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٩/٢ .
(٢) فتح الباري ١١٧/٨ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١٥٩/٤ حلبي ، تصوير بيروت وتفسير ابن كثير ٤٠٢/٢ .
(٤) فتح الباري ١١٧/٨ .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١٥٩/٤ .
(٦) فتح الباري ١٢٣/٨ .
(٧) فتح الباري ١١٩/٨ .
(٨) فتح الباري ١١٩/٨ .
(٩) فتح الباري ١١٧/٨ .
(١٠) فتح الباري ١١٩/٨ .
(١١) فتح الباري ١١٤/٨ .

باعتزال الثلاثة وعدم الكلام معهم ، وبعد مضي أربعين ليلة على هذا الحال أمر النبي ﷺ الثلاثة بأن يعتزلوا نساءهم وألا يقربوهن[1] وبعد مضي تمام الخمسين ليلة أنزل الله تعالى توبته على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة . يقول كعب : « وكانت أم سلمة محسنة في شأني معتنية بأمري فقال : يا أم سلمة تيب على كعب . قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره ؟ قال : إذاً يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليل . حتى إذا صلى الفجر آذن بتوبة الله علينا »[2] وانطلق المبشرون إلى الثلاثة بتوبة الله تعالى عليهم ، وكان كعب بن مالك قد ابتنى خيمة في ظهر جبل سَلْع في الشمال الغربي من المدينة فكان يكون فيها[3] وهنالك أتاه البشير رضي الله تعالى عنه وعن رفيقيه الصادقي القول والتوبة .

إن الآية الكريمة معطوفة على سابقتها والمعنى : لقد تاب الله سبحانه وتعالى على النبي الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالى عليهم الذين اتّبعوه عليه الصلاة والسلام في ساعة العسرة ، وتاب على الثلاثة الذين خُلِّفت وأُخِّرت توبتهم وأُرجئ أمرهم عمّن اعتذر إليه ﷺ وقَبِلَ منه . حتى إذا ضاقت على هؤلاء الثلاثة الأرض مع رُحْبها وسعتها وضاقت عليهم أنفسهم فلا يهنأ لهم بال ، ولا يقر لهم قرار ، وأيقنوا ألا ملجأ لهم من الله تعالى إلا إليه وحده لا شريك له ، بالتوبة النصوح ، والتّضرّع الصادق ، ثم تاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأن أرشدهم إلى التوبة وهداهم إليها وتفضل جل وعلا عليهم فقبلها منهم حينما وفّقهم فتابوا إليه جل وعلا وأنابوا .

وفي التذييل : « إن الله هو التّوّاب الرحيم » يجيء في صيغتي المبالغة فعّال وفعيل النّصّ على قبول توبة الله تعالى توبة التائبين الصادقين في توبتهم كل مرة يتوبون فيها وينيبون إليه ، والنّصّ على رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء . وها هي ذي رحمة الله تعالى تَسَع هؤلاء الثلاثة فيُرْشَدون إلى التوبة وتُقْبَل منهم توبتهم . قال تعالى[4] : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

ولما كان صدق هؤلاء الثلاثة هو الذي أنجاهم بإذن الله تعالى فقد كان في الآية الكريمة التالية حثٌّ للمؤمنين على الصدق .

---

(١) فتح الباري ١٢١/٨ .

(٢) فتح الباري ١٢١/٨ .

(٣) انظر فتح الباري ١٢١/٨ .

(٤) سورة الفرقان ٧٠ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾

تنادي الآية الكريمة الذين آمنوا باعتبارهم المستفيدين وحدهم من تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين بأن عليهم أن يتّقوا الله تعالى في السّرّ والعلن بفعل الأوامر واجتناب النواهي وأن يكونوا مع الصادقين من المؤمنين في نياتهم وأقوالهم وأفعالهم .

جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً . وإياكم والكذب فإن الكذب يَهْدي إلى الفُجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً(١) .

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٩٩ .

« ثواب المجاهدين ، وعلى المؤمنين أن ينفروا للجهاد وللتّفقّه في الدّين وأن يقاتلوا الكافرين الأقرب منهم مكاناً »

الآيات ( ١٢٠ ــ ١٢٣ )

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

ذلك بأنهم : من أجل أنّهم وبسبب أنّهم(١) .
ظمأ : عطش(٢) .
نَصَب : تَعَب(٣) .
مخمصة : جوع(٤) ومجاعة(٥) .
ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار : ولا يطئون أرضاً يغيظ الكفار وطؤهم إيّاها(٦) .
ولا ينالون من عدوٍّ نَيْلاً : ولا يصيبون من عدوّ الله وعدوّهم شيئاً في أموالهم وأنفسهم وأولادهم(٧) .

تقرر الآية الكريمة أنه ما كان ينبغي لأهل المدينة المنورة مَهاجَر المصطفى ﷺ وما ينبغي لمن حولهم من الأعراب الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج للغزو والجهاد في سبيل الله تعالى ، ولا ينبغي لهم ولا يصحّ منهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه عليه الصلاة والسلام بأن يرغبوا بأنفسهم عن المشقّة التي ارتضاها عليه

---

(١) تفسير الطبري ١١/٤٧ .
(٢) تفسير الطبري ١١/٤٧ وتفسير ابن كثير ٢/٤٠٠ .
(٣) تفسير الطبري ١١/٤٧ وتفسير ابن كثير ٢/٤٠٠ .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطبري ١١/٤٧ وتفسير ابن كثير ٢/٤٠٠ .
(٦) تفسير الطبري ١١/٤٧ .
(٧) تفسير الطبري ١١/٤٧ .

الصلاة والسلام لنفسه ، وأن يربأوا بها عمّا يكابده عليه الصلاة والسلام بذاته الشريفة من بعد الشّقّة ، وشدة الحر ، ووعثاء السفر ، وقلة الماء والطعام ، والذّهاب إلى أعداء الله تعالى في عُقْر دورهم . « وهو نهيٌ بلفظ الخبر »(١) والمعنى كونوا شركاء رسول الله ﷺ والمجاهدين في سبيل الله تعالى في الضّراء والسراء لا أن ترغبوا في أنفسكم وتؤثروها على نفس رسول الله ﷺ بالسلامة والرخاء . ألم يقل الله تعالى مِنْ قَبْلُ في سورة الأحزاب(٢) : ﴿ النّبيّ أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ إنّ مقياس إيمانكم أن تؤثروا نفس المصطفى ﷺ على أنفسكم لا أن يحدث العكس .

وفي أسلوب القرآن الكريم المعجز ترتب الآية الكريمة في نسق بديع أنواع المشقات متحولة كل مرة إلى مشقة أكبر ، وإلى ثواب أعظم تبعاً لذلك بطبيعة الحال .

إنّ الآية الكريمة في تبيين مفردات العمل الصالح وتقرير أجر المحسنين العظيم تذكر ما يصيب المجاهدين من عطش ابتداءً . ومعروف أن العطش أول ما يشعر به المُجْهَد ، خاصة إذا كان السفر في شدة القيظ كما حصل في أثناء التوجه إلى تبوك . ويأتي بعد العطش والحاجة إلى الماء الشعور بالنصب أو التعب ، يلي ذلك الشعور بالمخمصة أو الجوع . وتتوّج الآية الكريمة ذكر هذه الأنواع من المشقّات بالقول : « في سبيل الله » إن ثواب الممارسة لهذه الأنواع من المشقات يشترط أن تكون في سبيل الله تعالى وحده لا شريك له . وبذلك يتحقق الشرطان الضروريان لتفضل الله تعالى بقبول الأعمال . إن الأعمال يجب أن تكون صالحة بمقياس الإسلام ، وإنها يجب أن يراد بها وجه الله تعالى . ومن البين أن الآية الكريمة في ذكرها لهذه الأنواع من المشقات تنبّه إلى الغالب في حدوثها وفق هذا الترتيب .

ونتيجة للظمأ والنّصب والجوع يكون وطء المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى الأرض التي يغيظ الكافرين وطء المسلمين لها واختراقها والاستيلاء عليها . ونتيجةً للوصول إلى أرض الكفار والسير فيها يكون نيل المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى نَيْلاً من أعداء الله تعالى في هيئة النفوس التي تزهق ، والأموال التي يتم الاستحواذ عليها ، والأراضي التي يتم الاستيلاء عليها ، من أجل رفع راية التوحيد عاليةً خفّاقةً في الخافقين .

إن كل عمل صالح من هذه الأعمال يقوم به المجاهدون يُكْتَبُ في سجل حسناتهم وسيجازيهم الله تعالى على إحسانهم إحساناً . إنه جل وعلا لا يضيع أجر المحسنين بل يثيبهم على كل حسنة وعمل صالح مهما يَبْدُ للأعين هيّناً وقليلاً ، فكيف بالكثير .

---

(١) الجلالين .

(٢) الآية ٦ .

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

حينما نقارن بين الأعمال الصالحة الخمسة في الآية الكريمة السابقة والعملين الصالحين في هذه الآية الكريمة التالية نتبين أن الأعمال الخمسة السابقة يقوم بها المجاهدون في سبيل الله تعالى في أثناء اتجاههم إلى أعداء الله تعالى ، ونتبين كذلك أن العملين الأخيرين يصح أن يقوم بهما أولئك المجاهدون أنفسهم كما يصح أن يقوم بهما سواهم من غير المباشرين للقتال فعلاً . وتفسير ذلك أن إنفاق المال في سبيل الله تعالى ، سواءٌ كان المال قليلاً أو كثيراً يصحّ أن يقوم به المجاهد في سبيل الله تعالى ، وبذلك يكون من الذين اشترى الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة والنعيم المقيم . وإن الشيء نفسه يقال عن قطع الوادي في الطريق . إن قطع الوادي يصح أن يكون في أثناء الاتجاه إلى ميدان المعركة ويصح أن يكون خدمة لها في غير وقت الاتجاه إلى الميدان . وإذا كان كل من الإنفاق ومن قطع الوادي يصح أن يقوم بكل منهما المباشرون للقتال فعلاً ، فإن كلًّا من هذين العملين الصالحين يصح أن يقوم بهما غير المباشرين للقتال لأن الجهاد يكون بالمال كما يكون بالنفس ، ولأن التعبئة للمعركة والحشد لها وتهيئة كل وسائل الانتصار فيها بإذن الله تعالى ، ومن ذلك قطع الأودية ، من صميم الجهاد في سبيل الله تعالى ، لأن بعض الأعمال الصالحة بطبيعتها لا تسمح بالمباشرة الفعلية للقتال .

وهكذا يتبين أن الآية الكريمة السابقة تحدثت عن الأعمال التي يباشرها مباشرو القتال الفعلي ، وأن الآية الكريمة التالية تحدثت عن عملين هما شركة بين المباشرين للقتال وغير المباشرين له .

ولا يمنع هذا القول عن الآيتين الكريمتين أن تلتقي العناصر كلها في نسق واحد بديع ، يبدأ بالنفقة الصغيرة أو الكبيرة ، ويمر بالعطش والتعب والجوع وقطع الأودية والوصول إلى أرض الأعداء وينتهي بالنيل من أعداء الله تعالى .

وفي مجال النّفقة في سبيل الله تعالى في غزوة تبوك فاز عثمان رضي الله عنه بقصب السبق . عن عبد الرحمن بن سَمُرَة قال : جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي ﷺ جيش العسرة . قال : فصبها في حِجْر النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ يقلّبها بيده ويقول : ما ضرَّ ابن عفان ما عَمِل بعد اليوم . يردّدها مراراً[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٠٠ .

وهذه الآية الكريمة والآية الكريمة السابقة نزلتا في الجيش يقوده النبي ﷺ . إن النبي ﷺ حينما يقود غزوة على الجيش كله أن يخرج . أما إذا خرجت سرية ، فعلى الأخرى أن تبقى كي تتفقه في الدين لتنذر السرية التي خرجت وتعلّمها ما نزل بعدها من قرآن وما قيل من حديث . فإلى الآية التالية .

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

**سبب النزول :**

قال ابن عباس : فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلّف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ[١] وقال ابن عباس في رواية الكلبي : لما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلّفهم عن الجهاد ، قال المؤمنون : والله لا نتخلّف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية أبداً . فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون كافة ، وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢] .

من المعروف أن المصطفى ﷺ قاد بذاته الشريفة ثمانياً وعشرين غزوة ، وبعث سبعاً وأربعين سريّة يقودها قوّاده عليه الصلاة والسلام[٣] والآية الكريمة تقرر أنه في حال إرسال المصطفى ﷺ سراياه ما كان ينبغي على المؤمنين أن ينفروا للجهاد جميعاً . فهلّا نفر من كل فرقة منهم طائفة وجماعة ليتفقهوا في الدين بملازمة المصطفى ﷺ ومعرفة ما نزل من قرآنٍ كريمٍ وقيل من حديث شريف في أثناء غياب السّرية ولينذر المقيمون من أجل العلم إخوانهم المسافرين من أجل الغزو إذا رجع المسافرون إليهم لعلهم يحذرون الوقوع في المحظورات وارتكاب الذنوب .

ويحضرنا في هذا الشأن قول الضحاك[٤] : « كان رسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم

---

(١) الجلالين .
(٢) أسباب النزول ٣٠٤ .
(٣) انظر مثلاً العسكرية العربية ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ٣٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٤٠١ .

يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الأعذار . وكان إذا قام وأسرى السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه » إن النفر في السرية لا يكون إلا بإذن المصطفى ﷺ . والسرايا بطبعها لا تستوعب كل الجيش . وما المطلوب من الباقين مع المصطفى ﷺ . المطلوب من الباقين أن ينفروا لطلب العلم من المصطفى ﷺ في مقابل نفر إخوانهم للجهاد في سبيل الله تعالى .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٣

قاتلوا الذين يلونكم من الكفار : ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً(١) .

وليجدوا فيكم غلظة : أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم(٢) أي شدّة(٣) .

تنادي الآية الكريمة الذين آمنوا وتأمرهم بأن يبدأوا بقتال الأقرب منهم فالأقرب من الكفار ، كما تأمرهم بأن يجد فيهم الكفار غلظة وشدّة ، كما تأمرهم أن يعلموا أن الله سبحانه وتعالى مع المتقين بفعل الأوامر واجتناب النواهي ينصرهم ويؤيدهم .

ومما يلفت النظر في الآية الكريمة مجيء حرف الجر « في » وليس حرف الجر « من » وذلك في القول : « وليجدوا فيكم غلظة » إن حرف الجر : « من » لو جاء هنا لصحّ لنا أن نفهم أن الغلظة منصرفة إلى وقت القتال وحده . أما وقد جاء حرف الجر : « في » فإنه يصحّ لنا أن نفهم أنّ الغلظة مع الكفار من قبل المؤمنين شاملة لكل ما يمكن أن يصل من المؤمنين إلى الكافرين من قتال وفعل وقول ومعاملة وما إلى ذلك . إن الغلظة للكافرين أصبحت سجية المجاهدين في سبيل الله تعالى بقصد حملهم على ترك الشرك واعتناق دين التوحيد ، دين الإسلام رب العالمين ، الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ .

والمعروف أن جهاد المصطفى ﷺ كان تطبيقاً لهذه الآية الكريمة . فبعد أن تحوّلت بإذن الله تعالى جزيرة العرب على يد المصطفى ﷺ من الشرك إلى التوحيد ومن الفرقة إلى الوحدة اتجه إلى الأقرب من الكفار وهم نصارى الشام ، لأن الشام أقرب من العراق .

---

(١) تفسير الطبري ٥٢/١١ وتفسير ابن كثير ٤٠١/٢ والجلالين .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٢ والجلالين .

(٣) تفسير الطبري ٥٣/١١ والجلالين .

والمصطفى ﷺ هو الأسوة الحسنة لنا نحن المسلمين . وليس تاريخ الإسلام إلا تطبيقاً لتعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين ، ابتداءً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي قمع بفضل الله تعالى فتنة الردة وواصل إرسال الجيوش إلى الشام فالعراق وما إليهما . وها هو ذا الإسلام يصل بفضل الله تعالى حيث وصل الليل والنهار . وإذا كان ثلث العالم الإسلامي قد فتحه المجاهدون في سبيل الله تعالى بسيوفهم وأخلاقهم ، فإن الثلثين الباقيين فتحهما الإسلام بذاته بواسطة الدعاة إليه الذين امتثلوا أمر الله تعالى بالقول[1] : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

---

(١) سورة النحل ١٢٥ .

« نزول السّور يزيد المؤمنين إيماناً
ويزيد المنافقين نفاقاً وقلوبهم انصرافاً »
الآيات ( ١٢٤ ــ ١٢٧ )

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾

وهم يستبشرون : يفرحون بها(١) .

وأما الذين في قلوبهم مرض : نفاق وشك في دين الله(٢) .

فزادتهم رجساً إلى رجسهم : أي زادتهم شكاً إلى شكهم وريباً إلى ريبهم(٣) وكفراً إلى كفرهم(٤) .

يُفْتَنون : يبتلون(٥) ويختبرون(٦) .

في كل عام مرة أو مرتين : أوَلَا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين ، بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرة وفي بعضها مرتين(٧) قال بعضهم : ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدة(٨) قال مجاهد : بالسّنَة والجوع(٩) .

ولا هم يذَّكَّرون : ولا هم يتّعظون(١٠) .

تتحدّث الآيات الكريمات الثلاث عن استهزاء المنافقين حينما يطرحون سؤالهم عن الذين زادتهم السورة الموحى بها إلى المصطفى ﷺ إيماناً ، وعن زيادة إيمان المؤمنين بنزولها وزيادة كفر المنافقين ، وعن عدم اتّعاظ المنافقين بابتلاء الله تعالى الدائم لهم بالقحط والشدة .

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير الطبري ١١/٥٣ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٤٠٣ .
(٤) الجلالين وتأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة ٣٦١ .
(٥) الجلالين .
(٦) تفسير الطبري ١١/٥٤ .
(٧) تفسير الطبري ١١/٥٤ .
(٨) تفسير الطبري ١١/٥٤ .
(٩) تفسير الطبري ١١/٥٤ وتفسير ابن كثير ٢/٤٠٣ .
(١٠) تفسير الطبري ١١/٥٤ والجلالين .

إن الآية الكريمة الأولى تقرر أن رب العزة إذا ما أنزل على حبيبه المصطفى ﷺ سورة كريمة فإن المنافقين يسألون على سبيل السخرية : « أيكم زادته هذه إيماناً » ؟ ولما كان المنافقون مندسّين في المؤمنين فذلك معناه أن السؤال المطروح يسمعه المؤمنون والمنافقون . وتقرر الآية الكريمة الأولى هذه أن الذين آمنوا زادتهم هذه السورة الكريمة إيماناً جديداً إلى إيمانهم السابق ، وهم يستبشرون بها ويفرحون لنزولها .

وإن الآية الكريمة الثانية تقرر أن المنافقين الذين تصفهم بأن في قلوبهم مرض النفاق والشك في دين الله تعالى ، زادتهم هذه السورة الكريمة مرضاً إلى مرضهم ورجساً إلى رجسهم وشكًّا إلى شكهم . كما تقرر الآية الكريمة نماء هذه الصفات السيئة في قلوب المنافقين حتى خرجوا ــ والعياذ بالله ــ من رِبْقة الإسلام وماتوا وهم كافرون .

وإن الآية الكريمة الثالثة تنكر على المنافقين في أسلوب الاستفهام عدم إدراكهم الحكمة من اختبار الله تعالى لهم بصنوف المصائب كل عام مرة أو مرتين . إنهم لا يرون بأعينهم التي في رءوسهم ولا يرون بأعين البصيرة هذه الاختبارات على حقيقتها وما ينبغي أن يترتب عليها من اطّراح النفاق وصدق الإيمان . وكأن الآية الكريمة تأخذ بسبب من قوله تعالى في سورة الحج(١) : ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ ومن قوله تعالى في سورة الأعراف(٢) : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يُبْصِرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ﴾ .

إن المنافقين الذين أعمى الله تعالى بصائرهم لا يستفيدون شيئاً من اختبار الله تعالى وابتلائه لهم كل عام مرة أو مرتين . إنهم لا يتوبون عن النفاق ولا يتّعظون ولا يتذكّرون بالقرآن الكريم الذي يهدي للطريقة التي هي أقوم . إن حال المنافقين يذكّرنا بهذه الآية الكريمة من سورة فصِّلت(٣) : ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته . ءأعجمي وعربي . قُلْ هو للذين آمنوا هدًى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى . أولئك ينادَوْن من مكان بعيد ﴾ وبشأن الآية الكريمة الأولى يقول ابن كثير(٤) : « وهذه الآية من أكبر الدلائل على أنّ الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء . بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك » .

---

(١) الآية ٤٦ .
(٢) الآية ١٧٩ .
(٣) الآية ٤٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٤٠٢ .

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

أشارت آية كريمة سابقة في القِسْم إلى أن المنافقين إذا ما أُنــزلت سورة فمنهم من يسأل : « أيكم زادته هذه إيماناً » وإن الآية الكريمة التي نحن بصددها تبدأ بما بدأت به تلك الآية الكريمة : « وإذا ما أُنْزِلَتْ سورة » وإذا كان المنافقون بشأن الآية الكريمة السابقة قد اكتفوا بالسؤال فإنهم بشأن الآية الكريمة الأخرى لهم وراء السؤال أو القول فعل أو أكثر من فعل . وإن الاختلاف في الموقف يدل على أن فحوى الآية الكريمة في المرة الأخرى يختلف عن فحوى الآية الكريمة الأولى ، وربما كان هذا الفحوى فضح المنافقين .

إن الآية الكريمة تقرر أن المنافقين إذا ما أُنْـزِلت سورة على المصطفى ﷺ وفيها فضحهم وكشف زيفهم نظر بعضهم إلى بعض بطريقة يفهمون فحواها ومغزاها ، وقالوا في لحظة نظر بعضهم : « هل يراكم من أحد » ؟ وإنهم ليتمنون من أعماقهم ألا يكون قد رآهم - أحد . ومن البيّن أنّ مجيء حرف الجر في القول : « من أحد » يفيد تمنيهم ألا يكون قد رآهم جزء من شخص لو كان ذلك الجزء من الإنسان يصحّ أن يَرَى . والمراد بطبيعة الحال تأكيد الرغبة ألا يكون قد رآهم أيّ شخص .

وإن المنافقين حينما يشعرون بأن أحداً من المؤمنين لم يرهم فإنهم ينصرفون متسللين لِواذاً . وانظر إلى حرف العطف « ثم » الذي يفيد الترتيب مع التراخي وذلك في القول : « ثم انصرفوا » وكأن المنافقين لا يجرءون على الانصراف إلا بعد التأكد من أن أحداً لم يرهم . ونسي أولئك المنافقون أن العباد إذا كانوا لم يروهم فإن رب العباد يراهم ، وقد زاد الله تعالى انصراف قلوبهم عن الحق ، الذي تحول إلى انصراف حسي ، قد زاد الله تعالى انصراف قلوبهم انصرافاً . وقوله : « صرف الله قلوبهم » يحتمل أن يكون دعاءً عليهم ، ويحتمل أن يكون خبراً[١] والمعنى أن الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه استكباراً ونفاقاً[٢] .

---

(١) تفسير ابن عطية ٨٧/٧ .

(٢) تفسير الطبري ٥٥/١١ .

# (( الرّسول الكريم حريص على إيمان النّاس رءوف ورحيم بالمؤمنين ))

## الآيتان ( ١٢٨ ، ١٢٩ )

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

عزيز عليه ما عنتم : أي عزيز عليه عنتكم وهو دخول المشقة عليكم والمكروه والأذى(١) .

تخاطب الآية الكريمة قوم المصطفى ﷺ وهم العرب الذين ناصبوه العداء ، والمعروف أن الآية الكريمة هي والتي تليها من آخر ما نزل من القرآن على المصطفى ﷺ ، وتقول لهم في أسلوب القَسَم(٢) : لقد جاءكم أيها الناس ووصلكم فعلاً رسول من أنفسكم . والمعروف أن جملة « جاء » تُسْتَعْمَل في القرآن الكريم دليلاً على القرب والمجيء الفعلي . إن المصطفى ﷺ رسول رب العالمين قد جاء ووصل فعلاً . وهو عليه الصلاة والسلام من قومه وليس من غيرهم فواجبهم الإيمان به عليه الصلاة والسلام واتّباعه . وهو عليه الصلاة والسلام من البشر وليس من غيرهم من مخلوقات الله تعالى كالملائكة مثلاً ، فواجبهم الإيمان به عليه الصلاة والسلام واتّباعه ، فقد أرسله الله تعالى للناس أجمعين . والله سبحانه وتعالى أرسل محمد بن عبد الله ﷺ رحمة للعالمين . وقد عُبِّر في الآية الكريمة عن هذا المعنى بالقول : « عزيز عليه ما عنتم » والمعنى أن المصطفى ﷺ يعزّ عليه ويؤلمه كلّ ما يسبّب للناس عنتاً ومشقة . ومما يسبب للناس العنت والمشقة كفرهم وإعراضهم عن دعوة الحق ، ومما يترتّب على الكفر والإعراض عن دعوة الحق قتال المسلمين لهم وقتلهم وأسرهم . وكي يزول عن الناس العنت والمشقّة يحرص المصطفى ﷺ أشد الحرص على أن يتحول أولئك المشركون مسلمين لله رب العالمين مؤمنين . أما وقد أصبح القوم مؤمنين فإن الآية الكريمة تذكر صفتين للنبي ﷺ تجاه المؤمنين ، وذلك في مقابل الصفتين له ﷺ تجاه الكافرين من تاذٍّ لما يسبّب للناس العنت ومن حرص على إيمانهم . أمّا هاتان الصفتان فهما الرأفة والرحمة بالمؤمنين . والمعروف أن هاتين الصفتين اللتين تخلعهما الآية الكريمة على المصطفى ﷺ قد جاء في الآية الكريمة السابعة عشرة بعد المائة من السورة الكريمة وصف الذات العلية بهما وذلك في القول : « لقد تاب الله

---

(١) تفسير الطبري ١١/٥٥ .

(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٦/٥٤ .

على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسْرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم . إنه بهم رءوف رحيم » إن رب العزة رءوف رحيم برسوله ﷺ وبالمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة الشدة . وإن المصطفى ﷺ رءوف رحيم بالمؤمنين . والمعروف أن رب العزة رءوف رحيم بالناس أجمعين . قال تعالى(١) : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم . إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ .

فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

تخاطب الآية الكريمة المصطفى ﷺ وتأمره أن يقول حينما يصر الكافرون على كفرهم : إن الله سبحانه وتعالى هو حسبي وكافيّ ، وإنه لا إله إلا هو ، عليه وحده لا شريك له توكّلت بعد أن استعنت به وحده لا شريك له . إنه هو رب العرش العظيم ، لا رب غيره ولا معبود بحقٍّ سواه .

وإنّ هذا التوجيه القرآني للمصطفى ﷺ ابتداءً يتّجه بعد ذلك إلى كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية ، وإلى الدعاة إلى الله تعالى على جهة الخصوص . إن عليهم البلاغ ، وإن عليهم الصدق في النية وفي العمل ، وإن عليهم أن يستعينوا بالله تعالى وحده لا شريك له وأن يتوكلوا عليه في كل شئونهم . أما الحساب وأما النتائج فإن كل ذلك عند الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، الفعال لما يريد ، الذي لا يُسْأل عما يفعل وهم يُسْألون .

---

(١) سورة البقرة ١٤٣ .

# ثانيــاً

# ســورة يونــس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا
عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
(١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٢٠)

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ
ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ
ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ
زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ
أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم
مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟
إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ
فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ
ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ
خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

# بين يدي التّفسير

## (( الرّسول بشير ونذير ، والله تعالى له الخلق والتّدبير والمصير ))

## الآيات ( ١ ـــ ٤ )

السّورة الكريمة واحدة من تسع وعشرين سورةً تبدأ بالحروف المقطّعة . ومن العلماء من قال في تفسيرها : الله أعلم بمراده بذلك ، ومنهم من اجتهد في تفسير معناها . ومن هذه الآراء رأي يرى أنها امتداد للتّحدي بالقرآن الكريم ففيها التّنبيه إلى أن القرآن الكريم المعجز بمبناه ومعناه تتألّف ألفاظه من ذات الحروف التي تتألّف منها الألفاظ العربيّة . وعلى عادة السّور التي تبدأ بالحروف المقطّعة في حديثها بعد ذلك عن القرآن الكريم تشير الآية الكريمة الأولى إلى آي الكتاب الحكيم ، وينكر السّياق بعد ذلك على كفّار مكّة إنكارهم وعجبهم أن يكون النّذير إليهم واحداً من البشر ، ويبشّر المؤمنين بالثّواب الجزيل بسبب أعمالهم الحسنة السّالفة ، في الوقت الذي يصرّ فيه الكافرون على وصف القرآن الكريم بأنّه سحر مبين . ويلفت السّياق الانتباه إلى الخلق والتّدبير والمصير . فالله سبحانه وتعالى خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ثم استوى على العرش ، وهو الذي يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ، ولا تنفع الشّفاعة عنده إلّا من بعد إذنه ، وهو المستحقّ للعبادة وحده لا شريك له . ويوم القيامة يرجع إليه الخلق ، وكما بدأ أوّل خلق يعيده ، ويثيب المؤمنين ويعذب الكافرين .

## (( عذاب الكافرين الغافلين عن آيات الله تعالى الجميلة الجليلة وثواب المؤمنين المتّقين ))

## الآيات ( ٥ ـــ ١٠ )

يشير السّياق إلى آيات الله تعالى الدّالة على قدرته ووحدانيّته في السّماوات والأرض . إن الله سبحانه وتعالى جعل الشّمس نجماً مصدراً للطّاقة وجعل القمر كوكباً عاكساً ضياء الشمس ومحوّله نوراً ، كما جعله جلّ وعلا منازل لنعلم به وكذلك بالشّمس عدد السّنين والحساب . إن الله سبحانه وتعالى خلق ذلك بالحقّ وفصّل الآيات لقوم يعلمون . وممّا له علاقة بالسّماوات والأرض من الآيات اختلاف الليل والنهار من حيث الطّول والقصر ، المجيء والذّهاب ، السّواد والبياض .. وما إلى ذلك . إن الذين يستفيدون من تلك الآيات هم المتّقون . ويشير السّياق إلى عذاب الكافرين الذين اعتبروا الحياة الدّنيا غاية المُنَى والذين لا يؤمنون بالبعث والنّشور ، كما يشير إلى ثواب المتّقين الذين يعملون الصّالحات والذين يحمدون الله تعالى في الأولى والآخرة .

## (( جنس الإنسان عجول وكفور ولا أحد أظلم ممّن كذّب على الله أو كذّب بآياته ))

## الآيات ( ١١ ـ ١٧ )

يقرّر السّياق أن ربّ العزّة لو يعجل للنّاس العجولين بطبعهم الشرّ الذين يدعونه جلّ وعلا أن يصيب به أنفسهم أو أهليهم أو أولادهم أو أموالهم وما إلى ذلك كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به لَقُضِيَ إليهم أجلهم وعُجِّل لهم الموت ولكن يمهلهم حتى إذا أخذهم لم يتركهم . والعجيب في الإنسان أنه كما ينصرف بالكلّيّة عن الله تعالى في الرّخاء يقبل عليه جلّ وعلا وحده لا شريك له في الضرّاء فيدعوه مضطجعاً وقاعداً وقائماً ، والعجيب أيضاً أنّه بعد أن يكشف الله تعالى ضرّه يعود أدراجه إلى سيرته الأولى قبل أن يمسه الضرّ . إنّ عليكم يا كفّار مكّة أن تستفيدوا من هذه الدّروس وأن تأخذوا العبرة من السّابقين أمثالكم الذين أخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وإنّ عليكم أيّها المؤمنون أن تعلموا أنّكم كالسّابقين محطّ اختبار ، أتشكرون أم تكفرون ؟ والعجيب في أمر كفّار مكّة أنّهم يطلبون من المصطفى ﷺ أن يأتي بغير هذا القرآن الكريم الذي فيه تسفيه أحلامهم وشتم آلهتهم أو أن يبدّله بالتّغيير والحذف والإضافة ، ويقرّر السّياق أن النبيّ ﷺ لا يستطيع أن يبدّل شيئاً من القرآن الكريم فكيف يستطيع أن يأتي بقرآن سواه ؟ وكيف يلقّب كفّار مكّة النّبيّ ﷺ قبل البعثة بالأمين ثم يكذّبونه عليه الصّلاة والسّلام بعد البعثة ؟ وهل الأمين الذي لا يكذب على عباد الله تعالى يكذب على الله تعالى ! إنّه لا أحد أظلم ممّن كذب على الله تعالى أو كذّب بآياته . إنهم هم المجرمون الذين لا يفلحون .

## (( كان النّاس مسلمين ثم تفرّقوا ، وسيجازي الله المشركين المستهزئين الماكرين ))

## الآيات ( ١٨ ـ ٢١ )

يعبد كفّار مكّة ومن شاكلهم من دون الله تعالى ما لا يضرّهم لو أهملوه ولا ينفعهم لو عبدوه ويقولون سفهاً وحمقاً إنّ الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى تشفع لهم عند الله تعالى وكأنّ لها دوراً في الخلق مع الله تعالى الذي له وحده دون سواه الخلق والأمر ، وكأنّهم يعلّمون الله سبحانه وتعالى بما لا يعلم من دورٍ لهذه الأصنام والأوثان في عمليّة الخلق : (( سبحانه وتعالى عمّا يشركون )) وليس كفّار مكّة إلا استمراراً لأولئك الذين تفرّقت بهم السّبل عن سبيل الحقّ الذي كان عليه آدم عليه السّلام وكافّة الرسّل الكرام . ولولا كلمة سبقت من الله

تعالى بتأخير الحساب إلى يوم القيامة لكـان الـفصل بينهم وبين المصطفى ﷺ في الدّيـن في هذه الحياة الأولى ولتمّ فيها عذابهم . ومع أنّ آية المصطفى ﷺ البيانيّـة هي المناسبـة لكفّـار مكّة فإنّهم يطلبون آيات أُخر مادّيّة تقلّ في حقّهم عن القرآن الكريم في مجال البيان وهم أمّـة البيان فعليهم إذن أن ينتظروا العذاب إن لم يؤمنوا فإن المؤمنين منتظـرون ذلك بهم . والعجيـب في أمر كفّـار مكّـة أنّهـم إذا أصيبـوا بالسّرّاء بعـد الضّرّاء فعلـوا ما فعـل السّابقـون بأن عادوا سيرتهم السّيّئة الأولى كما كانوا قبل الضّرّاء ، كما أنّهـم لا يفهمـون أنّ ذلك مكـر من الله تعـالى بهم واستدراج لهم .

## (( الله يحمل عباده في البرّ والبحر ، وينعم عليهم ويبتليهم ، وعليهم العمل للآخرة ))
## الآيات ( ٢٢ ــ ٢٥ )

يبيّن السّياق أنّ الله تعالى هو الذي يسيّر عباده في البرّ والبحر حتّى إذا كان النّاس في الفلك وفيهم المؤمنون والكافرون وجرين بهم بريح طيّبة وفرح المؤمنـون بها فرح شكـر لله تعـالى وفرح بها الكافرون فرح بطر جاءتها ريح عاصف وجاء الكافرين بخاصّة الموج من كلّ مكـانٍ وأيقنوا أن الهلاك أحاط بهم والموت أحدق بهم دعوا الله مخلصين له الدّين لئن أنجيتنا يا ربّنـا من هذه الورطة لنكوننّ من الشّاكرين . « فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير حق » ويقـال لهم تمتّعوا متاع الحياة الدّنيا ثم إلينا مرجعكـم فننبّئكـم يوم القيامـة بما كنتم تعملـون . وبـقصد إظهار الحياة الدّنيا على حقيقتها وتبيين أنّها متاع الغرور يقرّر السّياق أنّمـا مثـل الحيـاة الدّنيـا كمثل ماء أنزله الله تعالى من السّماء فاختلـط به نبـات الأرض وتشابك بسببـه بعض النّبـات ببعض ممّـا يأكل النّـاس من ذلك النّبـات والأنعـام حتّـى إذا أخـذت الأرض زينتها المزوّقـة المصطنعة وبدت في أجمل زينتها وأكملها وظـنّ أهلهـا أنهم قادرون عليها أتاهـا أمـر الله تعـالى بالهلاك والإيذان بالقيامة ليـلاً أو نهاراً فجعـل الله تعـالى الأرض كالمحصودة بالمناجـل وكأنّهـا لم تغن بالأمس ولم تتجمّل بالنّبات ولم تتزيّن بالزّرع . في مثل ذلك يفصّل الله تعالى الآيات لقوم يتفكّـرون ، ويدعـو جلّ وعـلا إلى الجنّـة دار السّلام والأمـن والطّمأنينـة والسّلامـة من الآفات ويهدي من يشاء هدايته إلى صراط مستقيم .